المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا)

1-أثر المتكلمين في تطور الدرس البلاغي:

البلاغة فن واسع البنيان ممتد الأركان أسهمت كثير من الطوائف في إثرائه وتطوره كالكتاب والمتكلمين واللغويين والنحاة والرواية والشعراء وغيرهم.

تطورت كثير من المباحث البلاغية في خضم الجدل الذي ثار بين المتكلمين من معتزلة ومرجئة وشيعة وخوارج ... ويمكن أن نعزو ذلك الارتباط الوثيق بين المباحث البلاغية والقضايا الكلامية إلى أمرين:

الأمر الأول: الطابع الجدالي الإقناعي الذي ينطق به علم الكلام سواء ما اتصل من ذلك بالدفاع عن قضايا العقيدة وآراء أصحاب المذهب الكلامي ومعتقداتهم أم دحض حجة الخصوم وإبطال معتقداتهم، وبذلك يتقاطع علم الكلام مع الجانب الحجاجي للبلاغة.

الأمر الثاني: ارتباط الدفاع عن إعجاز القرآن وبيان حقيقته بمسائل العقيدة كمسألة كلام الله وصفاته وأسمائه ....

ولقد كان أكثر رواد البحث في الإعجاز والتأليف فيه من المعتزلة كواصل بن عطاء وأبي عبد الله الواسطي والجاحظ وبشر بن المعتمر وعلي بن عيسى الرماني.

2-مصادر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغية العربية:

وكان القرآن والسنة مرجع المتكلمين في جدلهم، فمن نصوصهما كانوا يستمدون الادلة ويوجهونها نحو المعاني التي يقصدونها كما عنوا بالنظر في هذه النصوص يدافعون عنها حينا ويهاجمونها حينا آخر، ويثبتون المجاز فيها تارة وينفونه عنها تارة أخرى... ومن هنا كانت صلتهم بالبحوث اللغوية والبلاغية وثيقة".

يرى الدكتور فضل عباس: أن البحث في إعجاز القرآن كان أحد اتجاهين اثنين في الدراسات البلاغية يقابل الاتجاه الذي اهتم بالبيان عامة ولم يقتصر على البحث في الإعجاز، وبالنظر إلى كون قضية الإعجاز القرآني قضية ذات بعدين: بعد عقائدي سعد لغوي، فإنها كانت محط اهتمام المتكلمين والمعتزلة منهم خاصة.

تميز المعتزلة عن سائر الفرق الكلامية بأنهم نصبوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام أمام خصومه من أصحاب الملل، كما نصبوا أنفسهم الجدال أصحاب الفرق الإسلامية من جبرية ومرجئة ومن خوارج وشيعة ... ورأيناهم يأخذون أنفسهم بثقافة عربية أصيلة مضيفين إليها ألوانا من الثقافة الأجنبية وخاصة من الفلسفة وما يتصل بها من المنطق.

إعداد وتقديم الدكتور: عبد الرحيم عزاب